دلالة الألفاظ القرآنية عند الحاكم الجُشَميُّ(ت٤٩٤هـ) في كتابه التهذيب في التفسير

أ.م.د. حيدر جبار دفتر جامعة القادسية/ كلية التربية

haedar.dafter@qu.edu.iq

ملخص البحث

اللغة هي وعاء الفكر والأصل الذي نصول به ونقوم، وملخص هذه الورقة البحثية قائم على إظهار جهد عالم مفسر قد جمع في تفسيره التهذيب جملة من العلوم والفنون والأحكام والعقائد ،حاولنا أن نسلط الضوء على جهده اللغوي معجميًا كان أو سياقيًا من أجل توظيف المفردات القرآنية، والوقوف على دلالاتها الأثيرة، والتطلع الى أسرارها الإعجازية واللغوية، إذ لم يأل الجشمي جهدًا في ذلك، بل كان مختلفًا في طروحاته جادًا في أدواته حكيمًا في تغافله سيدًا حصورًا في تجاهله واستبعاده لكثير من الدلالات التي لم يوفق كثير من المفسرين في الوقوف عندها.

Abstract

Language is the vessel of thought and the foundation upon which we operate and act. The summary of this research paper is based on demonstrating the effort of a scholar and interpreter who, in his refined interpretation, combined a set of sciences, arts, rulings, and beliefs. We tried to highlight his linguistic effort, whether lexical or contextual, in order to employ Qur'anic vocabulary, to understand its subtle meanings, and to look forward to its miraculous and linguistic secrets. Al-Jashmi spared no effort in this, and he was different in his approaches, serious in his tools, wise in his overlooking, and masterful in his disregard and exclusion of many meanings that many interpreters were not successful in addressing.

المقدمة

الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ووفقنا لما ينفعنا في الدنيا والأخرة والصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

اما بعد:

حينما يقلب المرء أوراقه بحثًا عن الجديد المستساغ ، ودفعًا للرتيب الذي لا طائل من ورائه ،الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، يجد نفسه أمام معترك بين الأقران ، ولابدَّ له في خضمِّ ذلك ان يركب مركبًا صعبًا ، لينتج نتاجًا طيبًا ، وها أنا ذا دفعتني فتوني لاقف عند أعتاب رجل من رجالات القرن الخامس الهجري ، يعدُّ رمزًا وعلمًا وحاكمًا في عصره ،هو الحاكم الجُشَميُّ ، لأتنفس من عطائه الدِّلالي الثرِّ ، الذي بدا واضحًا وماثلًا وقارًا في مباحثه ، التي عقدها في تفسيره في معالجة دلالة الألفاظ عنده ، فهو معجميٌّ مدققٌ وسياقيٌّ دلاليٌّ متبحرٌ ، ومتتبع لدلالة الأصل اللغوي الدِّلالي بتمعن ، وعنده وجدت ضالتي ، وفي حدود علمي وما اطلعت عليه من رسائل وبحوث كتبت بشأن الشيخ لم أجد دراسة واهتمامًا بالجانب اللغوي الدِّلالي، بل كان الاهتمام منصبًا من قبل الباحثين على التناسب وعلم المناسبة، وإلى حدِّ ما بعض الاهتمام بالقراءات القرآنية، لذا كان لزامًا عليَّ أن أظهر ما لهذا العلم من اهتمام بالغ بلغة القرآن، ومرجعياته في ذلك كثيرة بدءً من المعجمات وما فيها من دلالة الألفاظ ، بلحاظ ترادفها وفروقها وانتهاء إلى أصلها اللغوي ووضعها الدِّلالي ، وارتأيت أن تكون لهذا البحث خطة قائمة على تمهيد أو مدخل معرفي قرآني، نظهر فيه كيفية تشكّل المعنى عند الحاكم بلحاظ مرجعياته وثقافته، وتطلعه وتأثره بعلوم عصره ، فضلا عن اهتمامه بلغة القرآن ، فكان التمهيد بعنوان: تشكل المعنى القرآني عند الحاكم الجشمي مدخل معرفي قرآني ، أما المبحث الأول فهو يحاكي اللغة القرآنية متطلعًا معها ومهتمًا بألفاظها ومقارنًا لها بما ورد على شاكلتها وسمتها بلغة العرب، من نظائر وما يُحمل منها على الترادف ، وما ينأى بنفسه، من أجل أن يحمل خاصة دلالية قائمة على فروقها الدلالية بلحاظ سياقاتها المختلفة، فكان بعنوان: اللغة بوصفها أداة دلالية، سنتحدث فيه عن دلالة الألفاظ معجميًا ، وما زاد عن ذلك بلحاظ الترادف والفروق الدلالية، أما المبحث الثاني فجاء مرتبطًا ومكملًا للمبحث الأول ليكشف عن دلالة تلك الالفاظ بلحاظ أصلها اللغوي ، فكان بعنوان: دلالة المفردة القرآنية في ضوء الأصل اللغوي عند الحاكم الجشمي، أما خاتمة البحث ، فحاول الباحث جاهدًا أن تكون بمثابة استنتاجات ولطائف يفيدها ويتكئ عليها لا بلحاظ كونها ملخصات لمباحثه ، بل تمثل زبدة

ما يمكن أن يقدمه من خلال فهمه ، فهي بمثابه بغية للوعاة ، وكشف عن المشكلات ، وإيضاح للمعضلات ، وأحتسب في تبين ذلك وإيضاحه ربَّ العباد. وآخر دعواهم أن الحمد لله ربِّ العالمين

التمهيد: تشكَّل المعنى القرآني عند الحاكم الجشمي[١] (مدخل معرفي قرآني)

المعنى القرآني أو الدلالة القرآنية ، على الرغم من الفارق بينهما، هما قصدية عليا خاصة وخالصة وغير متاحة على نحو الدقة إلاَّ إلى المخلصين من أولياء الله تعالى، الذين قال عنهم: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ }الجن:٢٦، وما دونهم من أهل العلم والمعرفة يحاولون أن يستنجدوا بهم، بما أتيح لهم من أدوات معرفية ولغوية، يتوسمون فيها خيرًا من أجل مقاربة المعنى القرآني بلحاظ الناظر الى لغته وبنيته ونظمه وتركيبه، والحاكم الجشمي هو أحد أعلام التفسير، الذي حاول أن يعطي رؤية واضحة عن منهجه، في التعاطي مع لغة الوحي، ويعرض نفسه مفسرًا، وصاحب منهج مختلف عند المتقدمين، أمثال أبي عبيدة والفراء والزَّجاج والنحاس وغيرهم، ممن كتب في معاني القرآن، فكان تفسيره مبوبًا بحسب اللغة، والمعنى، والاعراب، والقراءة، وهو على شاكلة بعض المفسرين أمثال الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان والشيخ الطبرسي في تفسيره مجمع البيان، _من حيث الظاهر_ ويعدُّ المعنى القرآني لازمة أصيلة في الثقافة العربية الإسلامية، فهو نتاج علوم متعددة، وقائمة على ثقافات مختلفة، أمثال علم الكلام، وعلم التفسير وعلم البلاغة، وهي دوائر متداخلة يصعب فكها والفصل بينها، ولعلها من أهم الصعوبات التي تواجه الباحث في إعطاء صورة واضحة عن تشكِّل هذا المعنى أو ذاك.

وهذا التشكل للمعنى القرآني يختلف من مفسِّر أو باحث إلى آخر، وقد يتعدد هذا المعنى بتعدد الأشخاص والثقافات، كل ذلك قائم على أن المعنى القرآني، هو معنى ثابت صدر من ذات واحدة، ولا يحتمل التعدد بلحاظها، أما هذا التعدد في المعنى فقد جاء نتيجة تعدد الرؤى، وسعة المتبنيات، وعصر الحاكم يسمح بذلك ويدفع باتجاهه، وللحاكم اهتمام مختلف بلغة القرآن فهناك قواعد أساسية عنده في التفسير[٢]، قائمة على إقامة الفرق بين التفسير والتأويل، وأنَّ الأصل الجامع لقواعده هو ليس في القرآن ما هو غير عربي، أما اللغة فلها مكانتها ومنزلتها، وهو يثبت المجاز في القرآن، ويمنع الحمل عليه إلا إذا تعذرت الحقيقة، وهو القائل:" والقرآن كله نازل بلغة العرب"[٣]،

وما يزيد أمر المعنى تعقيدًا إذا تعمد المتكلم التفنن في العبارة، والخروج عن مألوف الكلام، فكانت الحاجه إلى التفسير، وكان الاختلاف في التأويل، على الرغم من وجود المشترك اللغوي المقرب بين متكلمي اللغة الواحدة، ولذا قيل:" فالدلالة في كتب التفسير، ممارسه تأويلية أولاً وقبل

كل شيء، فإن كان من تعقيد لها فعرضي في الغالب"[٤]، وفي خضم ذلك ينبغي لنا أن يشغلنا معرفة كيفية تشكل هذه الآلية المنتجة للمعنى في القرآن، عند أهل التفسير، فاللغة وسيلة ومقصد لكل متعلم بها يصل الى المراد.

ومن خلالها يكتشف الحقيقة، ولا سيما في مجال النص حيث إنَّه واقعة لغوية في الأساس، فلا بدَّ من اللغة لفهم مراده[٥] فالتفسير باللغة لا يقتصر على الدلالة التصورية، على مستوى الإفراد والتركيب، التي يمكن الحصول عليها من المعاجم وكتب اللغة، بل يمكن الإفادة منها في الحصول على الدلالة التصديقية من خلال قرينة السياق وغيرها من القرائن اللغوية الأخرى [٦]، ولذا قال بعض الأعلام:" وعلى الجملة حمل اللفظ على ظاهره بعد الفحص عن القرائن المتصلة والمنفصلة من الكتاب والسنه أو الدليل العقلي، لا يعدُّ من التفسير بالرأي" [٧]، وإجمالًا يكون المعنى أوسع دائرة، واللفظ ما هو إلا علامة عليه، فالمعنى القرآني يمثل المستوى الكلي من مستويات المعنى أما المستويات الجزئية، التي تشكل مصاديق متعددة لذلك المعنى فتندرج ضمن ذلك المستوى الكلي، وترتبط به ارتباط المصداق بالمفهوم والمظهر بالظاهرة [٨]، بمعنى كيف يتشكل المعنى بواسطة النص القرآني على سمت ما يريده النص القرآني نفسه، ثم كيف يرى ذلك المدركون له على وفق تلك الإرادة النصية، بحيث يقاربوا المعنى ابتعادًا أو قربًا.

كل ما تقدم بلحاظ الاستقراء والاستقصاء، كان حاضرًا لدى الجشمي، وهو يتطلع لبيان المعنى، وليس بحث المعنى مقصورًا عنده على الألفاظ المفردة على نحو ما يجري في المعجمات؛ وإنَّما يشمل هذا الجانب دراسة المعنى على مستوى التركيب، وقد شكل ذلك منظومة دلالية ولغوية كاملة قد وظفها وتعاطى معها الحاكم بثقة عالية.

المبحث الأول: اللغة بوصفها أداة دلالية (في المعجم وقضايا اللغة)

توطئة:

الكلمات في اللغة تمثل رموزًا تدل على المعاني، واللغة:" تجري مجرى العلامات والسمات"[٩] كما، انَّ العلاقة بين اللفظ والمعنى هي علاقة عرفية اصطلاحية اعتباطية [١٠]، أي أنَّها في الأعم الأغلب اعتباطية، لا تخضع للمنطق العقلي، وهي عرفية، والعرف يختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف الثقافات والأزمنة، وبسبب من هذا الاختلاف في الوضع اللغوي تختلف اللغات، ولو كانت العلاقة طبيعية بين اللفظ والمعنى لتوحدت اللغات[١١] والحق أنَّ هذا الأمر مختلف فيه بين أهل العلم والفن[١٢] في كونها اصطلاحية عرفية أم عرفية فقط [١٣] كل ذلك يمثل منطقة خصبة

وأداة فاعلة في تشكل هذه اللغة المعطاء، بوصفها رمزًا ومحورًا، نتجاذبها ونتقاربها من أجل الوصول إلى منطقة المعنى القرآني، التي في كثير من الأحيان يختلف عليها اثنان بلحاظ أرومتهم، ومنشأ وضعهم، وسعة أفقهم، ومقدار قرائنهم، فالمسالة دلالية متعلقة بتوضيح علل صاحب النص، وهي تأويلية لغوية، تحمل اللغة مسؤولية التعبير عن تلك العلل، وتجوّز أن لا يكون المعنى حتمًا في ظاهر اللغة، ولكنَّها تشترط ضمانا للإفصاح، وهو أن يوفر المتكلم القرينة الموجهة إلى المعنى الصحيح وأن يكتشف القارئ تلك القرينة الممهدة لقراءته.

وكأنَّ كثافة اللغة تنمحي وتتلاشى في فعل استحضار الفكر للمسمى، وفي فعل إدراك المعنى "واللغة هي الوسط الكلي بلا منازع... وهي لغة العقل، وبالتالي فالوسيط بين اللغة والفهم هو الإجراء التأويلي" [١٤] والألفاظ مادتها وقوامها وأصلها ومرجعها، وقد لوَّحنا في التمهيد إلى منهج الحاكم الجشمي في التعاطي مع اللغة معجميًا إذ أفرد لها كلامًا خاصًا ودقيقًا، معولًا فيه على المعجمات العربية، يظهر فيه دقته وتمكنه واحاطته، وحتى عندما كان يبتعد عن الظاهر في بعض الأحيان ويلجأ إلى إيراد التأويل على متبنياته الخاصة، فإنَّ اعتماده على اللغة لا يختلف بل ربَّما ظهر هنا أكثر دقة ووضوحًا، لكثرة ما يضطر إلى إيراده من شواهد اللغة والشعر وأصول الاشتقاق "واللغة تحلُّ ثانيًا في تناوله للآيات بعد عرضه وتناوله للقراءات إن وجدت وإلا حلَّت أولا، وفي هذا الجانب يتصدى الجشمي لبعض الكلمات التي يرى أنَّها تحتاج لوقفة وتأمل، وتوضيح وتفسير فيأخذ القارئ إلى أعماق الكلمة، ويطوف به في أصلها واشتقاقها وضبطها ووزنها ولغاتها ومعانيها ونظائرها... حتى لربَّما توهم القارئ أنَّه أمام كتاب لغة لا تفسير "[١٥] ، وهو في كل ذلك يتكئ على أعلام اللغة أمثال الخليل وسيبويه والمبرد والأخفش والكسائي والنظر ابن شميل وابي عمرو والفراء، وهو القائل:" وكل كلمة لا تخلو إمَّا أن يكون لها معنى واحدًا، فلابدَّ أن تحمل عليه، وإن احتمل معاني، والكل جائز حمل على الكلِّ، على وجه يصح من جمع أو تخيير فإن دلَّ دليل على أنَّ بعضه مراد، وبعضه ليس بمراد، عمل بمقتضى الدليل فإن كان له معنى في اللغة ومعنى في الشرع حمل على المعنى الشرعي؛ لأنَّه ناقل، ثم فيه حقيقه ومجاز، فالحقيقة أولى إلا أن يدلَّ الدليل على أنَّ حمله على المجاز أولى، فيحمل عليه"[١٦]

ويمثل المعنى كما أسلفنا قطب راحى اهتمام المفسر، الذي يمكن الوصول إليه ابتداءً بوساطة الألفاظ ،وعلى المعجمي المفسِّر أن يكون يقظًا شاخصًا للمعاني الإضافية والأساسية، وأن لا يغيب عنه أيَّ فارق دلالي أثيري "سواء أكان في تحقيق أصل المعنى وفهم الكلام، أم في بيان الأغراض الفاضلة على أصل الظاهر" [١٧]، فدلالة الألفاظ قد تخفى وتلتبس على القرن من أهل اللغة،

فضلاً عن غيره، وكتاب التهذيب للحاكم الجشمي مليءٌ بدلالة الألفاظ القرآنية، وله اهتمام خاص بدلالتها المعجمية، نقف على بعضها لتحقيق بعض مصاديق ما نوهنا عنه فيما تقدم(١٨)

قال الجشمي حينما أورد قوله تعالى: { **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** }الأنبياء: ٩٨ "والحصب ما هيّئ للوقود من الحطب، فإن لم يهيَّأ فليس بحصب، كذا قاله الخليل، وريح حاصب أتت بالغبار لشدتها، وحصب الرجل بالحصباء، والمحصب موضع الرمي بمنى، وقيل الحاصب: الريح التي تقلع الحصباء لشدتها" (١٩)

أفاد الجشمي في النصّ أعلاه ممَّا قاله الخليل بن أحمد في أكثر من جملة، وحَسنٌ فعل في إشارته إليه فالخليل قال:" والحصب الحطب للتنور أو في وقود، أمَّا ما دام غير مستعمل للسُّجور فلا يسمى حصبًا... والحاصب: الريح تحمل التراب وكذلك ما تناثر من دقائق البرد والثلج" (٢٠) وممّا مضى يلحظ أنَّ الجشمي قد أفاد في نصِّه المتقدم من ابن فارس(ت ٣٩٥هـ) الذي يرى أنَّ الحاء والصاد والباء أصل واحد، وهو جنس من أجزاء الأرض، ثم زاد وريح حاصب، إذا أتت بالغبار، وأما المُحَصَّب بمنى فهو موضع الجِمار(٢١) وزاد الجوهري أنَّ الحَصب ما يحصب به في النار، أي يُرمى، ثم نقل قول أبي عبيدة في قوله تعالى: **(حَصَبُ جَهَنَّمَ)** وهو كل ما القيته في النار، فقد حَصَبتها به(٢٢) ولم يخرج الكفوي عن ذلك، فهو يرى أنَّ كل ما هُيِّجت به النار إذا أوقدتها، فهو حصَب، ولا يكون الحطب حصبًا حتى يُسجَّر به (٢٣)

وكل ما تقدم هو معنى معجمي خالص نقله لنا الجشمي بأمانة ودقة، غير أنَّه توسع قليلًا بلحاظ ما أفاده من دلالة سياقية وأثرية، فهو ينقل لنا في فقرة (المعنى) أنَّ الحصب هو الوقود عن ابن عباس وهو الحطب عن ابن مجاهد وقتادة وعكرمة (٢٤) ثم زاد مستعينا بقول ابن عرفة أنَّ الحصب لا يحمل على أنَّه لغة حبشية، فلا يصح ذلك عنده، فالقرآن كله عربي، وختم قوله بما قاله أبو مسلم الأصفهاني الذي يرى أنَّهم يُرمون بها كما يرمون بالحصباء، أي إنَّما يحصب بهم أي: يرمى بهم(٢٥) وما قاله أبو مسلم الأصفهاني، هو عين ما ذهب إليه الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ) ومن ثم نقله الجشمي عن أصحابه(٢٦) فالمعنى المحوري للحصب، هو الشيء المنتزع الظاهر من حجر أو غيره، وأما حصب جهنم فهو ما يكون متظاهرًا ومرتفعًا ومنتزعًا من أهل جهنم، فكأنَّه واقع في رأسهم وفي السطح العالي منهم (٢٧)

ويبدو لي أنَّ ما ذهب إليه الجشمي في دلالة (حصَب) المعجمية والسياقية، هو استقصاء وتتبع دقيق لآراء المعجميين قبله، ولرأي المفسرين الى حدٍّ ما، فهو لم يخرج في كلِّ ما ذهب إليه

من دلالة لـ(حصب) عن معنى ما هيّئ للوقود من الحطب أو الحجارة أو الريح، وكل ذلك فيه دلالة مركزية ومحورية أراد لها السياق القرآني أن تكون ظاهرة وواضحة لمن تأولها ووقف عندها بلحاظ سياق النصوص القرآنية المتعددة.

وفي قوله تعالى: { **ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ**}الحج: ٩ ، قال الجشمي:" يقال ثنيت الشيء ثانيًا، والثِّني: الأمر يعاد مرتين، ومنه:" لا ثِنيّ في الصدقة" أي: لا تؤخذ في السنة مرتين، وامرأة ثِنيٌ ولدت مرتين، ولا يقال: ثِنْيَةٌ وثنى عطفه إذا أعرض وتكبر، وعطفا كل شيء جانباه، ومعناه: ثانيًا عطفه، وعطفا الإنسان ناحيتا جسده، ويقال: ثنا عطفه، وثنى جسده، وصعَّر خدَّه ، ونأى بجانبه، ولوى عنقه، ومال برأسه إذا تكبر " [٢٨]

وكأنَّ اللغة لم تفارق الجشمي، فهو معجمي بامتياز، أراد لهذه اللغة أن تكون أداته الأولى في التعاطي مع دلالة الألفاظ، من أجل لحاظ الفارق الدلالين وسبر أغوار المعنى، ومعظم اللغويين حين يفسرون كثيرًا من الألفاظ، لا ينظرون إلى الأقدار المشتركة بينها من الدلالات، بل يميلون إلى أقرب تفسير وأوجزه، ولا يبحثون عن الصلة بين المتماثلات الا عرضًا، أمَّا التفريق فهو عمل لغوي لاحق، يراد منه جعل الألفاظ طيِّعة دالة تؤدي أغراضها بوضوح، قال السيوطي:" إنَّ اللفظ آلة تدفع الى اختيارها الضرورة، التي تقتضي تعيين مدلول مخصوص، وإنَّ اللفظ يوضع لشخص بعينه، وقد يوضع له باعتبار عام؛ وذلك بأن يعقل أمر مشترك بين مُشخِّصات، ثم يقال هذا اللفظ موضوع لكلِّ واحد من هذه المشخِّصات بخصوصه[٢٩] وما انتهى وآل إليه الجشمي من دلالة لـ(**ثَانِيَ عِطْفِهِ**) هي دلالة قد تماهى إليها أهل اللغة والمعجمات من قبله، على خلاف عباراتهم، وهذا مسوق عندهم بلحاظ سياقاتها المختلفة، فثاني عطفه فيها دلالة على التنكر والإعراض، والتلوي في المشية، على حدِّ تعبير الخليل وابن فارس [٣٠] وهذا أوفق للمعجمي أن يبدأ بذكر المعنى المركزي، أو بؤرة المعنى، ومن ثم يعمل على إظهار دلالة الألفاظ، بلحاظ واقعها وسياقها، حتى قيل: إنَّ الدلالة المركزية تمثل مهارة سلبية ظاهرية، لم تتفتق بعد، فإذا ما ظهرت السياقات الأخرى تجلَّت المهارة الإيجابية لدلالة اللفظ [٣١] ويبقى الجشمي يدافع عن الدلالة المتقدمة بلحاظ الإعراب والمعنى أن (ثاني عطفه) نصب على الحال تقديره يجادل ثانيًا عطفه، ثم قال: ومتى قيل: كيف يكون الحال في هذا (وثاني عطفه) معرفة؟ قلنا: بل هو نكرة ؛ لأنَّ المعنى ثانيًا عِطْفَه بالتنوين، إلا أنَّه حذف تخفيفًا فأضيف الى ما بعده، ومعناه معنى النكرة [٣٢] وزاد الجشمي في فقره المعنى موظفًا لدلالة اللفظ معجميًا وسياقيًا قيل: أمال عنقه وأعرض اغترارًا بنفسه، وخوفًا على

جاهه [٣٣]، وهذا يعني أنَّ المفسر ينشد المعنى عادة، فلا ينبغي أن ينافسه هدف آخر[٣٤] وهذا يدفع باتجاه أن الجشمي قد راعى كلَّ ما يدعو إلى فك الغموض والتعمية والالتباس في لغة العرب، على حدِّ تعبير أحد الباحثين، وهي السياق والمعنى الحضوري للتركيب اللغوي والتركيز الدلالي[٣٥].

وفي قوله تعالى: { **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ۚ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ** }الحج :١١

يرى الجشمي أنَّ (الحرف) في الآية أعلاه له دلالات متعددة، بلحاظ أصله وسياق استعماله، فقد قال:" الحرف والطَرَف والجانب نظائر، والحرف منتهى الجسم، وهو الحدُّ، ومنه قيل: حرف السيف حدُّه، الانحراف الانعدال إلى الجانب، وقلم مُحَرَّفٌ قد انعدل بقشطه عن الاستواء إلى جانب" [٣٦] وفي قوله (نظائر) دلالة واضحة وبينة على أنَّه يؤمن بوجود شبه، وتوافق وترادف في دلالة بعض الألفاظ، ثم ذكر للحرف دلالتين الأولى هي الحدُّ والثانية العدول إلى جانب، وعمل على بيان ذلك بلحاظ ما ذكر من حدِّ للسيف وقشط للقلم. وقد افاد من هاتين الدلالتين المعجميتين في توجيه النص القرآني، فالذين يعبدون الله على حرف هم المضطربون في اعتقاده، الذين لا يستقيمون على حال، أي على ضعف في العبادة كضعف القيام على حرف، وفيه إشارة إلى عدم الاستقرار والاتكاء أو على جانب لا يدخل فيه على ثبات وتمكين[٣٧] وهذا المعنى أشار إليه الخليل (رحمه الله) حينما قال:" والإنسان يكون على حرف من أمره، كأنَّه ينتظر، ويتوقع فإن رأى من ناحية ما يحب وإلا مال الى غيرها"[٣٨] وتبعه في ذلك الجوهري[٣٩] ولم يبتعد الراغب كثيرًا عن هذا المعنى، بل زاد عليه أنَّه مفسَّر بقوله تعالى بعده {**فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ** }الحج: ١١، وفي معناه قوله تعالى: {**مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ** }النساء:٤٣

وبعد التتبع والاستقصاء وجدت أنَّ الجشمي، قد أفاد كلَّ ما تقدم من دلالة لـ(حرف) على ابن فارس في معجمه، ولم يشر إليه أبدًا، فالحاء والراء والفاء ثلاثة أصول عند ابن فارس: حدُّ الشيء، والعدول، وتقدير الشيء[٤٠] وزاد العكبري معنى آخر، قال:" ويجيء بمعنى الأصل والقاعدة" [٤١] وقد حمل الجشمي معنى الحرف على (الحدِّ والعدول) وأهمل (التقدير)؛ لأنَّه بعيد عن سياق الآية المباركة، ولربَّما لم يرجع الجشمي إلى ابن فارس مباشرة، بل أفاد هذه المعاني والدلالات من كتب التفسير التي قبله، لقناعته بما أورده منها، ولحسن صياغتها ودقتها، ولقربها من عمله ولمجاراتها ما يبغي، وهذا ما تأكد لي حينما رجعت إلى الشيخ الطوسي، فوجدته يقول:" والحرف والطَرَف

والجانب نظائر، والحرف منتهى الجسم، ومنه الانحراف الانعدال الى الجانب، وقلم محرَّف قد عدل بقطعته عن الاستواء إلى جانب، وتحريف القول هو العدول به عن جهة الاستواء، فالحرف معتدل إلى الجانب عن الوسط" (٤٢)

وللقارئ أن يحكم على مدى التشابه بين النَّصين، بل التطابق التام الذي يبعث على الريبة بين نصِّ الجشمي ونصِّ الشيخ الطوسي، ولكن بعيدًا عن ذلك فقد اتفق الشيخان على ما أورده ابن فارس من تعدد للأصول لكنَّهما عبرا عن ذلك بالنظائر، والنظائر أقرب إلى الترادف عندهما، غير أنَّ ابن فارس لجأ إلى تعدد الأصول من أجل الابتعاد عن الترادف، ولكي يثبت للغة ثرائها ونمائها، والحقُّ أنَّ الألفاظ لا تحمل في نفسها دلالة مطلقة، إنَّما تتحقق دلالتها بلحاظ السياق الذي تظهر فيه، "ولهذا من الصعب أن نفصل بين التراكيب والدلالة"(٤٣) ولذلك قيل: الكلمة تحمل معنى غامضًا، فالاستعمال يأتي أولا وحينئذ يتقطر المعنى منه.

وخلاصة ما يمكن قوله في دلالة هذه اللفظة إنَّ فيها لازمتين الأولى: هي الطرف والقيد والثانية: هي قيد العدول والخروج، أي خروج شيء من موضعه واستقراره في الطرف أو جعل شيء في الطرف عن موضعه، وبلحاظ ذلك قد يستولي عليها الانحراف والميل، ويكون النظر في المرتبة الأولى إلى العدول، وقد يغلب عليها جهة الوقوع في الطرف، وبذلك يبدو واضحًا الفرق بين الحرف والطرف والجانب وهذا الأمر على خلاف ما ذهب إليه الجشمي، من أنَّها نظائر(٤٤) وقد صرح ابن فارس بأنَّ الأصول العامة تتشعب إلى فروع متقاربة في المعاني، أو ينصُّ على أنَّ تركيبًا معينًا يقرب في معناه من تركيب آخر(٤٥)، أو أصل صحيح قريب من الذي قبله(٤٦) أو أصل صحيح يدل على ما يدل عليه الذي قبله(٤٧).

ويبدو أنَّ التعريف بالمرادف يمثل سمة وعلامة بارزة في مؤهلات ومعالجات التدوين لدى أهل المعجمات، فلم يخل منه معجم منها منذ عهد الخليل الفراهيدي(٤٨)، وقيل: إنهَّم لجأوا الى هذا الضرب من التعريف أي التعريف بالمرادف لأغراض تقريبية تعليمية مفادها إيصال المعنى بطريقة أقرب إلى ذهن السامع، ولا شك في أنَّهم في عملهم هذا قد فاتهم كثير من الفوارق الدلالية.

وفي قوله تعالى{**وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا**} الجن: ١٥، قال الجشمي:" والقاسط الجائر، والمُقْسِد: العادل، وأصله: الميل والعدول، فالقاسط العادل عن الحق إلى الجور، والمقسد: العادل إلى الحق... أقسط يقسط فهو مقسط: إذا عدل، وقسط يقسط قسوطًا، إذا جار قال الله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**} المائدة: ٤٢.

إنَّ عمود الاشتراك في اللغة هو الدلالة، فاللفظ الواحد يدل على أكثر من معنى، وقد نقل السيوطي ذلك قائلاً:" بأنَّه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة [٤٩] والجشمي يدفع دلالة هذه المادة بلحاظ أصلها، وهو عنده (الميل والعدول) وهذا يعني أنَّ اللغة إذا وجد اختلاف في المعنى، فإنَّما يرجع إلى تصاريف هذه الكلمة، فهي المفتاح للتفرقة بين المعاني، فأقسط الرجل: إذا عدل، فهو مقسط، وقسط : إذا جار فهو قاسط، والأصل فيهما من القسط، وهو العدل في الحكم، والتسوية بين الخصوم، وفي الأنصباء، ولذلك سمِّي المكيال: قِسطًا، والنصيب قِسْطًا والميزان قِسْطاسًا، وإذا استعمل ذلك في الظلم، قيل: قَسط بغير ألف، على وزن ظلم، أي لم يوف بالمكيال والميزان، أو في النصيب. وهذا رأي الأوائل في الاشتراك[٥٠]

وقد نقل لنا ابن فارس أنَّ القاف والسين والطاء أصلٌ صحيح يدلُّ على معنيين متضادَّين، والبناء واحد، فالقسط العدل، والقَسط بفتح القاف الجور، والقُسوط العدول عن الحق[٥١] فهذه الموارد إذا كانت عدلاً وحقًا، يعبر عنها بالعدل وإلا سيعبَّر عنها بالجور والانحراف عن الحق والعدول عنه[٥٢] وهذا يعني أنَّ الأصل الواحد في المادة هو إيفاء الحق الى مستحقه، وهذا المعنى ينطبق على جميع موارد استعمالها، ولذا قال أحد الباحثين:" والقَسَطُ محركة: يُبْسٌ يكون في الرِجْل والرأس والركبة... ومن ذلك التجمد مع الصلابة، في الأصل قالوا (قَسط: جار عن الحق... وفي تفسيرهم (قسط) بـ(جار) بُعدٌ وأرى ان الدقيق هو قَسط بمعنى (عصى وتجبَّر)، فلم يطع ولم يخضع لما أمر به الله ؛آخذًا من الصلابة في الأصل، أما الجور فحقيقته الاقتطاع من حق صاحب الحق، وهذا لا يتأتى هنا إلا باللازم"[٥٣]

ويبدو من كلام الأعلام واضحًا معنى (القسط) وموارد استعماله بلحاظ سياق استعمال النصوص القرآنية واللغوية، فالميل والعدول والانحراف متحقق في هذا المورد، ومع ذلك فالاستقراء والتتبع يثبت أنَّ ما ذهب اليه الجشمي ، قد تبناه الطبرسي (رحمه الله)، وفلم يزد عليه شيئًا أبدًا[٥٤] فاللغة جارية على التوسع، كما هي جارية على التضييق، ومن ناحية التضييق فزع الى التحديد والتشديد ، ومن ناحية التوسع جرى على الاختيار والاقتدار[٥٥].

وفي قوله تعالى:{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** } البقرة: ٢١ قال الجشمي:" والخلق والفعل والإحداث نظائر، وبينهما فرق، فالخلق: الإيجاد على تقدير، والإحداث: الإيجاد عن قرب عهد، ومنه سمِّي الحديث حديثًا، والفعل يقع على الجميع، والخلق

أيضًا التقدير للشيء كما يريد" [٥٦] وزاد في موضع آخر قائلا:" والجعل والخلق والفعل والإحداث نظائر، جعل فهو جاعل، إلا أنَّ الجعل يتعلق بالشيء لا على سبيل الإيجاد، بخلاف الفعل، والإحداث الإيجاد، يقال: جعلته متحركًا، فحقيقة الجعل تغيير الشيء عمَّا كان عليه، وحقيقة الفعل والإحداث الإيجاد"[٥٧]

ابتداءً بلحاظ قول الجشمي المتقدم (وبينهما فرق) فإنَّه يروم من ذلك أنَّ هناك فروقًا بين هذه الألفاظ، وما جمعه لها في مكان واحد في أكثر من موضع في تفسيره إلا لوضوح الدلالة في ذهنه لهذه الالفاظ، بلحاظ استعمالاتها القرآنية، فهو يجمع للخلق والإحداث معنى الإيجاد، على تقدير وقرب عهد، أما الجعل فهو عنده تغيير الشيء عما كان عليه، وهذا هو معنى الجعل عند الاوائل[٥٨] وهذا الأمر واضح عند أبي هلال العسكري حينما فرق بين الجعل والفعل قائلا:" إنَّ جعل الشيء يكون بإحداث غيره فيه، كجعلك الطين خزفًا، وفعل الشيء إحداثه لا غير"[٥٩] واحتواء (جعل) على هذه المعاني، جاء لأنَّها كما قال الراغب:" لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعمُّ من (فعل) و(وضع)وسائر أخواته[٦٠]" وهذا يعني أنَّ هذه المعاني المتعددة والمتكثرة بظاهر بعض الألفاظ لا تكون متطابقة البتة في المعنى، وإنَّما تكون قريبة من ذلك، وهذه حقيقة أدركها أهل اللغة أنفسهم قال الخليل:" جَعل جَعلاً: صنع صنعًا، وجعل أعمُّ من صنع؛ لأنك تقول :جعل يأكل، وجعل يصنع، ولا تقول: صنع يأكل"[٦١] وهذا ما يسمى التفسير بالمرادف، غير أنَّه على كثرته في المعجمات، فهو لم يثبت أمام الناقد، وهذا ما جعل الخليل يستدرك ذاكرًا الفرق بين جعل وصنع، وهذا عينه ما ذُكر عند أصحاب الوجوه والنظائر، حينما ذكر مقاتل وهارون والدامغاني أنَّ (جعل) جاء في القرآن على وجهين هما: جعل بمعنى وصف، وجعل بمعنى فعل[٦٢]، ثم زاد ابن الجوزي أنَّ الجعل المضاف إلى الله تعالى، يكون على وجهين: الخلق والتصيير[٦٣] كل ذلك يدفع باتجاه إثبات الفروق الدلالية لهذه الألفاظ، التي ينبئ ظاهرها عن ترادفها، لذا قال ابن فارس:" الجيم والعين واللام كلمات غير مُنْقاسة لا يشبه بعضها بعضًا" [٦٤]

وفي قوله تعالى:{**فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**} آل عمران :٩٤ قال الجشمي:" والظلم والجور نظيران وبينهما فرق، فالظلم: النقصان للحقّ، والجور: العدول عن الحق؛ ولذلك خولف بين النقيضين، فنقيض الجور العدل، ونقيض الظلم الانصاف " [٦٥]وقد نقل الجشمي عبارته المتقدمة من فروق أبي هلال، ولم يزد عليها شيئًا[٦٦] ،في حين لم يفرق بعض الاعلام بينهما قائلًا في تعريفه للظل:" وضع الشيء في غير موضعه... وهو الجور" [٦٧]ويعد

الأصل الثاني عند ابن فارس لمادة (ظلم) هو وضع الشيء غير موضعه[٦٨] والأصل في (جور) هو الميل عن الطريق[٦٩]

والجدير بالذكر أنَّ الأوائل وقد وقفوا عند هذه الظاهرة، وآثروها على غيرها، _أي الفروق_ لأنَّ سياق الاستعمال القرآني دلالي اشتقاقي بامتياز، ويعدُّ أفضل موضع تطبيقي يبين ظلال الفروق الدقيقة بين هذه الالفاظ ،التي يحمل ظاهرها سمة الترادف، حتى قيل:" إنَّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى قائم به، ورباط لهما ناظم " [٧٠] والرباط هو أسلوب تركيب الألفاظ لتعبر عن المعاني المركبة[٧١] فالكلام ألفاظ يشتمل على معان تدل عليها وتعبر عنها[٧٢] ولكلِّ معنى لفظ يعبر به عنه، فمن جهل اللفظ بَكِمَ عن المعنى[٧٣] وعبارة الجشمي (فالظلم: النقصان للحقِّ، والجور: العدول عن الحقِّ) دقيقة جدًا، ومآل ذلك أنَّنا نحتاج مع الظلم إلى إنصاف ومع الجور إلى عدل، وهذا فرق دلالي أثيري، قائم على سعة اللغة، وشموليتها ودقتها، "فألتاني والتلطف في جميع هذه الأشياء وضَّمها وملاءمة ذات بينها هو خالص اللغة وسرِّها، فأمَّا حفظها ساذجة وقمْشِها محطوبة، فنعوذ بالله منه" [٧٤] وهذا النحو من الصنعة موجود في أكثر الكلام، وإنَّما أثاره الجشمي، ومن تقدمه من العلماء الذين كُشفت عندهم حقيقته وطاع طبعه فوعوه وتقبلوه "هيهات ذلك مطلبا وعزَّ فيهم مذهبًا"[٧٥]

وخلاصة ما يمكن قوله في هذا المبحث عن دلالة الألفاظ، أنَّ الذين وضعوا بحوثاً في المترادفات، هم أنفسهم جعلوا المعنى هو المتقدم[٧٦] وقد نقل لنا أبو هلال العسكري كلامًا عن المبرد ذهب فيه إلى أنَّ الشيء يعطف على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد، إذا كان في أحدهما خلاف للآخر[٧٧] وقد شهد التتبع الدقيق لمعجم ألفاظ القرآن ،واستقراء دلالتها في سياقها، بأنَّ القران يستعمل اللفظ بدلالة محددة ولا يمكن معها أن يقوم لفظ مقام لفظ آخر[٧٨].

المبحث الثاني: دلالة المفردة القرآنية في ضوء الأصل اللغوي وسياق الاستعمال القرآني

يشفق المرء أحيانًا على نفسه، حينما يضعها بين ثلاث زوايا، كلها حادَّة في لغة المنطق الرياضي، فعنوان المبحث أعلاه، يتطلب البيان عن المفردة القرآنية في ضوء منهج يحمل التأصيل والتأثيل [٧٩] والمقاييس شعارًا وخاصة دلالية له، ثم يستنطق ذلك ويتمثل آلياته ومصاديقه على لسان عالم ومفسر جهبذ، وضع أمام عينيه جهد المتقدمين لغويًا كان أم أثريًا أم إقرائيًا، ومن ثم ليعرض نفسه موجهًا لدلالة المفردة القرآنية في ضوء تفردها، وحسن استعمالها وتوظيفها، وكل ما تقدم يتطلب مهارة ودقة دونها خرط القتاد.

أقول وأنت تعلم أنَّ الجهود الأولى لدى علماء اللغة فيما يتعلق بالأصل اللغوي أو الدلالة المحورية، كانت جهودًا متفرقة، لا تمت إلى المنهج بصلة، بل جاءت على لسان علمائها في مواضع لا يمكن الالتفات إليها، وتسليط الضوء عليها، وقد أشار إلى تلك الجهود لدى القدماء والمحدثين جملة من الباحثين[٨٠] حتى وصل الأمر إلى ابن فارس(ت ٣٩٥ هـ) الذي كانت رؤياه مختلفة، وتطلعاته نابهة في معجمه المقاييس، ولم يفته أن أقام معجمه على كاهل من تقدمه من المعجمات[٨١] صيانه للغة وحماتها، وهو القائل:" إنَّ للغة العرب مقاييس صحيحة وأصولًا تتفرع منها فروع، وقد ألف الناس في جوامع اللغة، ما ألفوا ، ولم يعربوا في شيء من ذلك، عن مقياس من تلك المقاييس، ولا أصل من الأصول، والذي أومأنا إليه باب من العلم الجليل، وله خطر عظيم، وقد صدرنا كل فصل بأصله الذي تفرع منه مسائله"[٨٢]

ويبدو أنَّ الأصل يقترب من المفهوم لدى المناطق، يقول المصطفوي في تعريفه للأصل اللغوي" هو المعنى الحقيقي والمفهوم الأصيل، المأخوذ من مبدأ الاشتقاق الساري في تمام صيغ الاشتقاق"[٨٣]، وهذا استدلال لطيف في محلِّه، فالمفهوم هو المعنى المنتزع من حقائق الأشياء[٨٤] وهذا يعني أنَّ المفهوم الأصيل أو الدلالة الأصل، كلاهما مفهوم كلي ينطبق على جميع أفراد أو مصاديق اللفظ، وهذا ما يسمى عند المناطقة بالمفهوم الكلي المتواطئ أو المتساوي[٨٥] ولعل المساحة العلمية، والثقافة المعجمية لدى الأوائل، لم تبتعد كثيرًا عن العلوم الأخرى، بل كانت متداخلة، وتحسن التوظيف لها، وهذا جلي وواضح فيما نقله ابن جني من ثقافة منطقية وأصولية، وما لها من أثر في ذلك العصر[٨٦]

ولكي لا نبتعد كثيرًا، سنتحدث في هذا المبحث عن جهد الجشمي الواضح في تفسيره عن دلالة الأصل، فهو بين الفينة والأخرى، وهو يتحدث عن الدلالة المعجمية، يشير إلى الأصل في هذه المادة، أو تلك، وهذا يدل دلالة واضحة أنَّه يدرك الغايات والعلاقات بين الاستعمالات، وهذا بحدِّ ذاته يتطلب جهدًا ذهنيًّا وحضورًا فكريًا، وقد نقل لنا من المعجمات التي تقدمته، ما يفيد في تحصيل غرضه واستنتاج مقصده ومقدار ما يلزم نقله في تحقيق المطلوب.

ونحاول أن نستعرض دلالة بعض الألفاظ القرآنية بلحاظ أصلها اللغوي، ونشير إلى بعضها الآخر في الهامش لكثرة الأمثلة الواردة في التفسير[٨٧] مثال ذلك في قوله تعالى:{ **ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ**} البقرة:٢٩

قال الجشمي:" والاستواء في اللغة ينصرف على أربعة أوجه: استوى: استقام، وهو الأصل، واستوى: قصد، واستوى: استولى، واستوى: صعد وعلا، أمَّا الأول: فيقال: استوى أمره، أي استقام، ويقال: دبَّر أمر العراق، ثم استوى الشام، أي قصد، كأنَّه مرَّ على الاستقامة، وفي الاستيلاء يقال: استوت له الأمور كأنَّه استقام له واستوى على سريره، أي علا كأنَّه استقام عليه، والتسوية: التقويم ،وحقيقتها جعل الشيء على الاستواء" (٨٨)

أقول وبدا الجشمي واضحًا جدًا في النصّ أعلاه، أنَّه يدلل على الأصل في الدلالة، لما يحمله معنى الاستواء في اللغة، وهو الاستقامة، فالاستواء يحمل في طياته واشتقاقاته وتعدد استعمالاته السياقية معنى القصد والاستيلاء، والصعود والعلو، ومرجع ذلك كلُّه عنده إلى الاستقامة، وحاول أن يبين ذلك مفصلًا، في كل فقرة من النصّ أعلاه، وإنَّ تعدد هذه الاستعمالات لا يعني تعدد المعاني الأصلية، "بل هو جذر أو جذرين أو ثلاثة نشأت منهما التصاريف، التي تقوم على التشبيهات أو المقاربات أو غيرها، وهذا ما كان يفعله ابن فارس" (٨٩)إلا أنَّ الجشمي في هذا الموضع تحديدًا أرجع الاستعمالات المتعددة إلى جذر أو أصل واحد، وهذا نتاج قراءة، وتحليل لاستعمالات جذر ما بصيغه المتعددة وسياقاته المتباينة، والتوصل إلى معنى جامع يصدق عليها جميعًا بصورة مباشرة أو مع التأويل(٩٠) ولكن علينا أن نعرف علامَ اتَّكأ الجشمي في تطلعاته الدلالية؟ في مادة (سوى) قال الخليل:" والمساواة والاستواء واحد... ويقال :هما على سويَّة من الأمر، أي على سواء وتسوية واستواء"(٩١) وهذه دلالة عامة فيها مقاربة بين الاستواء والتسوية والمساواة، ولا إشارة فيها ولا ملمح للأصل، والسين والواو والياء عند ابن فارس أصلٌ يدل على استقامة واعتدال بين شيئين، ولم يزد على ذلك شيئا(٩٢) ويرى الجوهري أنَّها بمعنى العدل والوسط، ثم أشار إلى بعض السياقات التي تدل على العلو والاستقرار، والقصد والاعتدال(٩٣) وزاد الراغب أنَّه يستعمل استعمال العدل بلحاظ سياقه، ويحمل على المساواة والاعتدال، ومتى عُدِّي بعلى اقتضى معنى الاستيلاء ، والاستقامة احد موارده الدلالية والسياقية، وحينما يعدَّى بـ إلى يقتضي معنى الانتهاء(٩٤)

ومقتضى الحال يدفع باتجاه أنَّ الجسمي قد تلطف كثيرًا، وكان مختزلًا، ومدققًا، ومحققًا، لدلالة الأصل في هذه المادة، فهو لم يخرج عن دلالاتها لدى أصحاب المعجمات، بل حاول التلخيص ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وقد وضع نصب عينيه تعدد السياقات القرآنية، واختلافاتها، وتداخلها وارتباطها حتى قيل:" "إنَّ الأصل الواحد في هذه المادة: هو التوسط مع الاعتدال، فكلا المفهومين في الأصل معًا، وهذا ينطبق على جميع موارد استعمالها مجرَّدًا ومزيدًا، مضافًا إليه

خصوصية الصيغة" [٩٥] فالاستواء مع التمكن هو عبارة عن الاستقرار التام والتمكن الكامل من دون انكسار وضعف.

ويبدو أنَّ هذا التعدد في الدلالة لمادة (سوي) قد تواطأ عليه أصحاب المعجمات، على الرغم من اختلاف عباراتهم، ولم يختلف معهم كثيرًا أصحاب كتب التفسير، فقد ذكر الشيخ الطوسي بعض الدلالات لهذه المادة، وانتهى قائلًا :"وأحسن هذه الوجوه أن يحمل على أنَّه علا عليها فقهرها، وارتفع فدبرها بقدرته... وبعد ذلك قول من قال: قصد إليها فخلقها... والتسوية التقويم والإصلاح... ومعنى استوى أي عمد لها وقصد إلى خلقها"[٩٦] وهذا ما انتهى إليه الجشمي أيضا في فقره (المعنى) عند قوله تعالى:{ **ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ** } فنراه يقول:" أي قصد وعمد عن أكثر أهل العلم، وعن ابن عباس صعد أمره، وقيل ارتفع أمره... والأول أوجه؛ لأنَّ عليه أكثر أهل العلم، ولأنَّ (ثمَّ) تدل على أمر حادث"[٩٧] وتبعهم الطبرسي في ذكر جميع الوجوه، ولم يرجّح بينها[٩٨] كل ذلك يدعو إلى القول: إنَّ الجشمي كان على دراية ومعرفة من أنَّ الواضع عند وضعه اللفظ، فإنَّه وضعه للمعنى العام، بحيث يتسع ليشمل الحقائق العرفية والغيبية

وفي قوله تعالى :{ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**}التوبة: ٧٨ قال الجشمي:" والنجوى: الكلام الخفي والسرُّ بين اثنين... وقيل: أصله النجوة، وهو البعد، كأنَّ المتناجيين قد تباعدا من غيرهما، ومنه {**فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا** } يوسف :٨٠ عند أبي مسلم، وقيل: النجوة: المكان المرتفع الذي لا يصل إليه السيل، ومنه{**فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ** } يونس: ٩٢ كأنَّهما رفع حديثهما حتى لا يصل إليه غيرهما" [٩٩]وكأنَّ الجشمي قد أعطى ثلاث دلالات لهذا الجذر، واحدة تعني الكلام الخفي، المدلِّل على السرِّ، وأخرى تدل على البعد بلحاظ ظاهر سياقها، فكأنَّ الخلوص في قوله: **{خَلَصُواْ نَجِيًّا}** هو علامة انتهاء المناجاة القائمة على اليأس بقرينة قوله تعالى: **{فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ** } المتقدم ، فالدلالة هنا أقرب للبعد، وهو أصل ثان مأخوذ بلحاظ الاستعمال القرآني غير أنَّه لم ينفك عن الأصل الأول، الذي هو الكلام الخفي والسرُّ بين اثنين، كما أشرنا، ثم الجأنا إلى جذر ثالث، وهو المكان المرتفع بلحاظ استعمال جديد هو قوله تعالى: { **نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ** } أي نرفعك، وكأنَّ في هذا الرفع والإنجاء بعدٌ وخفاءٌ وسرٌّ أيضًا، وكل هذه المعاني متداخلة متلازمة لا تنفك عن بعضها يقول المبرد(ت ٢٨٦هـ):" كلام العرب إذا تقاربت ألفاظه فبعضه آخذ برقاب بعض"[١٠٠] وهذا الترابط هو أساس فكرة الأصل أو الدلالة المحورية، وهذا ما أشار إليه ابن جني قائلا:" وإن تباعد شيء من ذلك عنه –أي عن ذلك المعنى الجامع أو الأصل– رد بلطف الصنعة والتأويل" [١٠١]ولله درُّها من عبارة أخرس الخطب نطقها، قال ابن

فارس:" والنون والجيم والحرف المعتل أصلان، يدل أحدهما على كشط وكشف، والآخر على ستر وإخفاء... ومن الباب والنجوة من الأرض، وهي التي لا يعلوها سيل... والأصل الآخر: النَّجو والنجوى السرُّ بين اثنين"[١٠٢] وهذا يعني أنَّ الجشمي لم يخرج في دلالة النجوى، عن معنى السرِّ والخفاء، غير أنَّه وسَّع في ذلك، بلحاظ سياق استعمال النصوص القرآنية، جامعًا لها بدلالة أصل واحد من أجل مقاربة المعنى، وقد نقل الطبرسي عنه هذا المعنى حرفيًا بلا زيادة ولا نقصان، وهذا لا يعني أنَّ هناك توارادًا للخواطر بينهما، بل هذا يعزز ثقة الطبرسي بالجشمي، فيما ذهب إليه وتوصل له، من دلالة جامعة مانعة، على الرغم من أنَّ الطبرسي لم يصرح بذلك أبدًا[١٠٣] ولذا قال الراغب:" أصل النَّجاء: الانفصال من الشيء... والنجوة والنجاة :المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عمَّا حوله، وقيل: سمِّي لكونه ناجيًا من السيل"[١٠٤] وعلى كلِّ حال، فجميع الدلالات لا تخرج عن معنى التنحية والتخليص، فالنجوى مصدر كالدعوى، بمعنى المكالمة سرًا في تنحية وتنجية، وهي في مقام الوصف مبالغة[١٠٥] وأنت تعلم أنَّ تشبيه المعقول بالمحسوس، وتمثيل الحقائق المتعالية من المسائل المتعارف عليها في اللغة، فالمعجمي يلجأ إلى الاستقراء وفي الأعم الأغلب ينتقل من الدلالة الحسية إلى التجريد، وهو انتقال من المحسوس إلى المعقول، ومن ثمَّ اسقاط ما تجمع لديه من مفاهيم كلية على من مصاديقها بلحاظ سياقاتها المختلفة.

وفي قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ } الحجر: ١٠ يرى الجشمي:" الشيع :قال الزجاج: الفِرق، وقيل: هو القرون والجماعات، كل فرقة منها شيعة، وأصله: المشايعة، وهي المتابعة، شايع فلان فلانًا على أمره أي: تابعه عليه... والأمة شيعة لمتابعة بعضهم بعضًا فيما يجتمعون عليه في أمر دينه"[١٠٦]

ولم يخرج الجشمي في توجيهه لهذه المادة عمَّا ذهب إليه أهل اللغة بلحاظ عام، وقد نقل لنا رأي الزجاج في ذلك[١٠٧]وقد شايعه الزمخشري فيما ذهب إليه[١٠٨] أي أنَّها بمعنى الفِرق أو القرون والجماعات، وكل فرقة منها شيعة، والأصل في ذلك كلِّه هو المشايعة والمتابعة، قال الخليل:" والمشايعة: متابعتك إنسانًا على أمر... والشِّيعة: قوم يتشيعون أي يهوون أهواء قوم ويتابعونهم، وشيعة الرجل: أصحابه وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وأصنافهم شِيَع"[١٠٩]

والحق أنَّ الجشمي قد أشار إلى أحد أصول هذه المادة، وهو المشايعة أي المتابعة، من باب أنَّ الأصل الثاني هو متفتق عن الأصل الأول، وحامل له قال ابن فارس:" الشين والياء والعين

أصلان يدل أحدهما على معاضدة ومساعفة، والآخر على بثٍّ وإشادة...والشيعة الأعوان والأنصار، وأما الآخر فقولهم شاع الحديث، إذا ذاع وانتشر"[١١٠] فالمعاضدة والمساعفة في كلام ابن فارس، والمتابعة هي المشايعة والمتابعة عند الجشمي وعند الخليل من قبلهم، والذياع والانتشار لا شك في أنَّه لا ينفك عن المتابعة والمشايعة، وهذا أصل واضح، ومورد دقيق، وقد قيل:" إنَّ التسامح وعدم الدقة في استعمال الكلمة في موضع الحق ومورده ومقامه الصحيح، يوجب محو ما فيه من اللطف والخصوصية، ولا يزيد القرآن إلا مزيد ريب وضلال، ولا ينتج إلا توارد الإشكال والاعتراض" [١١١] قال الراغب:" والشيعة من يتقوى بهم الإنسان، وينتشرون عنه، ومنه قيل للشجاع: مَشِيْعٌ، يقال: شيعة وشيع وأشياع" [١١٢] وقد جمع الراغب في نصِّه بين المادتين لتلاحمها وتداخلهما، وهذا المعنى نقله الطوسي عن ابن عباس بلا زيادة[١١٣]

ويبدو أنَّ المشايعة والمتابعة، قد تركت أثرًا على الطبرسي، فهو يرى ما يراه الجشمي، ويتبعه اتباع الفصيل إثر أمِّه[١١٤] وهذه من الدلالات المحورية المحكمة لصلاحية انطباقها على كل استعمالات الجذر، وهذا ما يطلق عليه بالمكون الدلالي العام[١١٥] وهو يمثل جنس المعنى، الذي تدل عليه استعمالات الجذر السياقية، على خلاف المكون الدلالي الخاص، الذي يقيِّد المعنى العام، ويجعله مختصًا أو يكاد يكون كذلك، وهذا عمل معجمي دلالي حرص عليه الجشمي في كثير من دلالات الألفاظ ،من أجل الإحاطة بدلالة المفردات القرآنية، مع مراعاه تعدد الاستعمال، وهو عمل معجمي قليل إذا ما قيس وقورن بالدلالات المعجمية الفضفاضة التي عمل عليها اصحاب المعجمات.

وقد فات الجشمي وهو يتحدث عن أصل هذه المادة، الحامل لمعنى المشايعة والمتابعة أنَّ هذا المعنى بلحاظ سياقاته القرآنية، قد يحمل معنى تفرقة الشيء المجتمع إلى تجمعات صغيرة بتشعث أي عدم انتظام[١١٦] لذا ذهب بعض أصحاب المعجمات إلى القول: إنَّ معنى هذه المادة هو اتباع بعضهم بعضًا، وليس كلهم متفقين، فالتجمع متحقق في الجماعة الأصلية، ثم تفرق منها فرق كل فرقة، لها من تتبعه، وربَّما يكون الاتباع مذمومًا وهذا ما دفع بعضهم إلى القول:" وغالب ما يستعمل في الذم" [١١٧]أي هذه المادة غير أن ذلك ليس بدقيق، فلا زال الجذر يدل على التوسع بعيدًا عن الاتفاق من عدمه، وقد جرى في استعمالات مختلفة، في الذمّ وغيره، وهذا المعنى جامع بين مصاديق المادة، أما كلمة (الشيعة) "فهي في الأصل فعلة لبناء النوع ،وتدل على نوع خاص من الاتساع، الحاصل في فكر أو رأي مخصوص، ثم اطلقت على طائفة مجتمعة تحت هذا الاتساع الفكري" [١١٨]

ولعل ما ذهب إليه الجشمي في هذه المادة، يمثل دلالة محورية تجريدية، أي استخلاص الدلالة لجذر ما من الخصائص والمكونات الدلالية الجزئية لكل استعمالات هذا الجذر، وهذا ما المح إليه أبو البقاء الكفوي" ثم اعلم أنَّ التجريد هو حذف بعض معاني اللفظ، وإرادة البعض ، ويتعلق بمفهوم اللفظ" [١١٩] أي ربَّما يكون هذا التجريد، مأخوذًا أصلًا من استعمال بعينه، ولا ضير في ذلك، ما دام قد نظر عند التجريد إلى سائر استعمالات الجذر، ولحظ تحقق ذلك المعنى المجرد في كل منها[١٢٠]

وفي قوله تعالى: {**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**} التوبة: ١٠١ قال الجشميُّ:" المرود أصله: الملاسة ومنه {صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ} النمل :٤٤ أي مُملَّس، والأمرد: الذي لا شعر في وجهه، والمرداء: الرملة التي لا تنبت شيئًا، هكذا ذكر ابن عيسى وأبو مسلم، وقيل: بل أصله من الظهور، والمارد: الذي ظهر شرُّه، وشجرة مرْداء: إذا تساقط ورقها، فظهرت عيدانها، ورجل أمرد لظهور مكان الشعر عند ابن عرفة، ويقال: مرد الرجل يمرد مرودًا إذا عتا، وخرج عن الطاعة، والمارد: العاتي" [١٢١]

أقول: إنَّ جميع المعاني اللغوية والسياقية، التي ذكرها الجشمي في النصِّ أعلاه، وهي (الملاسة والظهور والخروج) لم تغب عن أذهان المعجمين على اختلاف سياقاتها، إلا أنَّه قد اختلف معهم في تحديد دلالة الأصل، بقوله: المرود أصله الملاسة، ثم فرَّع على ذلك من الدلالات التي لا تخرج بمجملها، عن الدلالة الأصل، ولعله قد وفِّق في ذلك معولًا على قوله تعالى: {صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ} فدلالة مُمرّد في الآية الكريمة لم تبتعد عن الملاسة، وهذه دلالة مركزية ومحورية، تمثل الأصل الذي تدور عليه الدلالات المقاربة له، قال الخليل:" والتمريد تمليس الطين والتسوية كما مرّد صرح سليمان عليه السلام" [١٢٢] وفي قوله تعالى: {مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ }أي عتوا وطغوا[١٢٣] ومرنوا عليه وجرُؤوا [١٢٤]وقال ابن فارس:" الميم والراء والدال أصل صحيح يدل على تجريد الشيء من قشره... والمُمرَّد البناء الطويل، وهو قياس الباب؛ لأنَّه كأنَّه مجرَّد يشبه الشجرة المرداء" [١٢٥] ولكن ابن فارس لم يشير الى الملاسة، التي جعلها الجسمي أصلاً لهذه المادة، بل يرى دلالة هذه المادة على تجريد الشيء، وهذا لا يبتعد كثيرًا عن الملاسة، فتجريد الشيء يدعو إلى ملاسة، في حين يرى الراغب أنَّ قوله تعالى: {مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ} يحمل على مُملَّس[١٢٦] وزاد الجوهري قائلًا:" وتمريد البناء: تمليسه، وتمريد الغصن تجريده من الورق" [١٢٧] وهذا يدعو إلى القول: إنَّ المعنى يدور حول هذا الأصل أي الملاسة، وقد نقل الجشمي ذلك عن الشيخ الطوسي، الذي أشار إلى

رأي المتقدمين من العلماء، ثم قال:" وأصل المرود الملاسة، ومنه قوله:{صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ} أي مُمَلَّس، والمرداء الصخرة الملساء" [١٢٨] وقد جمع الطبرسي بين رأي الشيخ الطوسي ورأي الجشمي بلا زيادة ولا نقصان، في فقرة اللغة والمعنى[١٢٩]، وقد انتهى أصحاب المعجمات القرآنية الحديثة إلى أنَّ المعنى المحوري هو ملاسة ظاهر الشيء الممتد تجرُّدًا ممَّا ينبت أو يتشعب منه، وملاسة الظاهر الممتد يلزم عنها انطباع بشدة تماسك الشيء، أي شدته في ذاته، كما يلزم منها عدم التمكن من الإمساك بالشيء فيخرج عن الطاعة، وهذا كله من لازم المعنى المحوري[١٣٠]

نتائج البحث

١- الألفاظ القرآنية هي مفردات تحمل دلالات لغوية، ذات طابع له خصوصيته وأهميته، ويمكن لها الانطباق على مصاديق متعددة، بلحاظ كثرة السياقات الواردة فيها.

٢- أثبت البحث أنَّ الجشمي مفسِّر بلحاظ مختلف، فهو مطبوع بسمة الأوائل، مهتديًا بهديهم سائرًا على طريقتهم، في التعاطي مع اللغة معجميًا ودلاليًا.

٣- كان الحاكم كثيرًا ما يعتمد على أهل المعجمات اللغوية والقرآنية، دون أن يصرح بأسمائهم، إلا في بعض المواضع، ولكن هذا الاعتماد أقل ما يقال عنه إنَّه ذو حرفة ودراية ومعرفة أعانته بتوظيف هذا التراث بطريقة مثلى.

٤- التهذيب في التفسير يصنَّف من التفاسير التي سارت عليها تفاسير القرن الخامس والسادس الهجريين، من حيث ذكر المعنى واللغة والقراءات، وزاد عليها الجشمي قضية النظم والمناسبات بين الآيات القرآنية.

٥- حاولنا قدر الإمكان إظهار جهد الجشمي لغويًا، بلحاظ المادة المعجمية، سواء أكانت دلالة خالصة أم كانت لها وجوه في اللغة، ونظائر في الكلمات، بل زدنا في ذلك متطلعين إلى قضايا اللغة في ترادفها وفروقها.

٦- كثيرًا ما كان الجشمي يعقد مقارنات بين الألفاظ معبرًا عن ذلك بكلمة، هذه نظائر أو بينها فرق، ثم يورد الفروق والوجوه بين دلالات هذه الألفاظ قيميًّا.

٧- أستطيع القول: إنَّ الجشمي في كثير من المواضع التي وقفنا عندها، كان مجتهدًا في تحديد دلالتها، وترتيب مواردها، وتقديم ما هو الأقرب إلى بيانها، بعيدًا عن اعتماده على أصولها المعجمية.

٨- كان يؤمن بالأصل اللغوي في أغلب موارد التفسير، ولم يشر في مورد واحد إلى ابن فارس أو غيره ، في حديثه عن الأصل، وحينما رجعنا إلى المقاييس أو غيره ،وجدناه قد أفاد كثيرًا من هذه المعجمات مع تقديم وتأخير، وترتيب بحسب ما يراه مناسبًا لدلالة الكلمة.

٩- اللغة على لسان الجشمي طيِّعة ومطاعة، فهو يتمثلها ويرتشف منها دلالة أحسب أنَّها أقرب إلى روح الاستعمال منها إلى دلالتها المعجمية الخالصة.

١٠- لم الحظ على الجشمي، وهو لغوي بامتياز، أي أثر يدفع باتجاه تطويع اللغة، لما يؤمن أو يعتقد به، على الرغم من أنَّه حنفي المذهب أمامي زيدي العقيدة.

١١- نقل الجشمي نصوصًا كاملة، غير محرَّفة، ولا متصرف بها عن الشيخ الطوسي وأحيانًا أخرى يفيد من نصوصه ويوظفها، كل ذلك بلا إشارة ولا توثيق.

١٢- كان الحاكم عنده في دلالة المفرد القرآنية هو سياق استعمالها، ولم تأت دلالة لمفردة عنده، قد اختلف عليها المتأخرون بعده، بل ربَّما زادوا ، عليها وهذا يحسب له.

١٣- كل الدراسات التي سبقت، قد تعرَّضت ،إلى جهد الجشمي، في علم المناسبة والقراءات والغيبيات ،ولم أقف على دراسة لغوية خالصة، وخصوصًا، ما يتعلق بدلالات الألفاظ ،على الرغم من أنَّ الجشمي كان كثير الاهتمام بذلك، بل لم يقدم على اللغة إلا القراءة، إن كان في الآية ما يدعو الى ذلك؛ لذا أعدُّ هذه الدراسة هي الأولى في مضانها

١٤- مصادره كتب اللغة والمعجمات وكتب التفسير والأصول، أما منهجه فلم يشغل القارئ في ذكر الكثير من المصادر، بل كفاه مؤونة ذلك، ملخصًا له نتائج ذلك بدقة وإمعان، وكان يداخل بين الدلالة اللغوية والأثرية، ويلجأ إلى التصريح بأسماء بعض الأعلام إن لزم ذلك.

الهامش

---

[١] الحاكم لقب أطلقه عليه علماء الزيدية ؛ لغزارة علمه بعلوم الحديث، وأنَّه بلغ فيه رتبة الحاكم ، ينظر: عيون المسائل في الأصول: الحاكم الجشمي: ٢٥، وقد خلا البحث من سيرة وترجمة للحاكم الجشمي لكثرة الدراسات التي كُتبت عن حياته وعلمه وعصره ومؤلفاته ، وكلها دراسات أكاديمية ، وقفت على مفاصل حياته وتطلعاته ، وأوفت في ذلك الكيل ، وسأذكر بعضًا منها:١- المناسبات عند الحاكم الجشمي في تفسيره التهذيب، إيفان رسمي سليمان(رسالة) ٢- الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن، د. عدنان زرزور(رسالة) ٣- المناسبات في تفسير الحاكم الجشمي، ناجي خلف كنوش(أطروحة) ٤- ترجيحات الحاكم الجشمي في تفسيره التهذيب، سنان عبد الله مجمل (بحث) ٥- الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية في تفسير التهذيب للحاكم الجشمي، حارث إبراهيم عبد محمد(أطروحة) ٦- الغيبيات عند الحاكم الجشمي ، حسن محمد عبد(بحث) ٧- المشكل اللغوي عند الحاكم في تفسيره التهذيب، نسرين عباس غضيب (بحث) وغير ذلك الكثير.

[٢] ينظر: الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن/ د.عدنان زرزور/٢٢٢-٢٧٩.
[٣] التهذيب في التفسير: ٤٦/١.
[٤] قضايا اللغة في كتب التفسير/ الهادي الجطلاوي:٢٠١.
[٥] ينظر: إمكانات التفسير وإشكالياته في البحث عن المعنى: محمد مصطفوي:٢٥. وأصول التفسير عند الإمامية: ساجد العسكري:١٩٢.
[٦] ينظر: التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي/٢٢١/٥.
[٧] البيان في تفسير القرآن: السيد الخوئي:٢٦٨.
[٨] ينظر: المعنى القرآني من التفسير إلى التأويل: د. عباس أمير/١٤.
[٩] أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني:٣٤٠.
[١٠] ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين: طاهر سليمان حمودة/١٧٤.
[١١] ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية/ د. تمام حسان/ ١٠٨-١١٠.
[١٢] ينظر: دلالة الألفاظ/ إبراهيم أنيس/٦٢-٦٣.
[١٣] ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي/ ٤٧/١.
[١٤] اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة: مجموعة مؤلفين/١٠-١١.
[١٥] التهذيب في التفسير: الحاكم الجشمي: ١/ ٤٦ مقدمة المحقق.
[١٦] التهذيب في التفسير: ١٩٤/١..
[١٧] تقلبات المعنى وغياب الفارق الدلالي في المعجمات العربية: د. ابتهاج سماع علي/ ٣٨٦..
[١٨] التهذيب في التفسير ، تفسير بعشرة أجزاء ، كلها قائمة على منهج واحد ، يبدأ فيه الحاكم الجشمي في معالجة كل لفظة في كل آية بإعطاء معناها المعجمي ، وعلى ذلك فهنالك كم هائل لا يمكن إحصاؤه من الألفاظ ، وعليه سنقف على نماذج من ذلك لنظهر منهجه في التعاطي معها، وسنشير في الهامش إلى بعض المواضع الأخرى لمن أراد الاستزادة.
[١٩] التهذيب في التفسير: ٤٨٨٨/٧
[٢٠] العين: ٣٨٨/١(حصب).
[٢١] ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٤٩(حصب).
[٢٢] ينظر: الصِّحاح: ٢٤٣(حصب). والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: د.محمد حسن جبل: ٤٤٣/١.
[٢٣] ينظر: الكليات: ٢٩٩(حصب).
[٢٤] ينظر: التهذيب: ٧/ ٤٨٩١..
[٢٥] ينظر: التهذيب: ٧/ ٤٨٩١. ينقل لنا د. خالد إسماعيل أنَّ حصب: صغار الحجارة والحطب والحاصب التراب ، وفي اللغة الأكدية خصاب :كسر، وخصب: كِسرة ، وفي العبرية : حصب: قطع الصخور للبناء وفي الآرامية: حصب: كسر احجار، وفي المندائية: هصب: حجز وضغط ومنع وتراجع، والمعنى العام: كسر الحجارة. ينظر: القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم:١٢٤.
[٢٦] ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٢٩/٧
[٢٧] ينظر: التحقيق في كلمات القرآن: الشيخ المصطفوي: ٢٦٦/٢(حصب).
[٢٨] التهذيب في التفسير: ٤٩١٥/٧.
[٢٩] المزهر في علوم اللغة:٣٨/١.
[٣٠] ينظر: العين: ٢٥٠/١، ومقاييس اللغة: ١٧٢،ومفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني: ١٧٨، والكليات: الكفوي: ٢٧١..
[٣١] ينظر: على سبيل المثال الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري
[٣٢] ينظر: التهذيب في التفسير:٤٩١٦/٧.
[٣٣] ينظر: نفسه: ٤٩١٦/٧.
[٣٤] ينظر: صناعة المعجم الحديث: د.أحمد مختار عمر: ١١.
[٣٥] ينظر: ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة: د. أحمد نصيف الجنابي:٣٩٨-٤٠٤.
[٣٦] التهذيب في التفسير:٤٩٢٠/٧.
[٣٧] ينظر: التهذيب في التفسير:٤٩٢٣/٧.
[٣٨] العين:٣٦٨/١.
[٣٩] ينظر: الصحاح:٢٢٩.
[٤٠] ينظر: مقاييس اللغة:٢٣٧.

[٤١] ينظر: الكليات: ٣٢٧.

[٤٢] التبيان في تفسير القرآن:٢٤٢/٧.
[٤٣] اللغويات التطبيقية ومعجمها: د. محمد حلمي هليل:٣٥. والدلالة السياقية عند اللغويين: د.عواطف كنوش:٢٦٠.
[٤٤] ينظر: على سبيل المثال في ذلك: التحقيق في كلمات القرآن: المصطفوي: ٢٣٢/٢-٢٣٣، والمعجم الاشتقاقي: محمد حسن جبل: ٤١٢/١.
[٤٥] ينظر: مقاييس اللغة:٣/١-٥.
[٤٦] ينظر: نفسه:١٠٢/٤.
[٤٧] ينظر: نفسه:٢١٣/٤.
[٤٨] ينظر: تقلبات المعنى وغياب الفارق الدلالي في المعجمات العربية: د. ابنهاج سماع علي: ٣٨٧.
[٤٩] المزهر في علوم اللغة وأنواعها:٣٦٩/١. والمشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن: د. عبد العال سالم مكرم:٩.
[٥٠] ينظر: تصحيح الفصيح: ابن درستويه:٢٧٣-٢٧٤.، وفصول في فقه اللغة: د. رمضان عبد التواب: ٣٢٦.
[٥١] ينظر: مقاييس اللغة:٨٥٦.ومفردات ألفاظ القرآن: الراغب:٦٧٠.
[٥٢] ينظر: التحقيق في كلمات القرآن:٢٨٨/٩.
[٥٣] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن:١٧٨٠/٤-١٧٨١-١٧٨٢.
[٥٤] ينظر: مجمع البيان:١٠٩/١٠.
[٥٥] ينظر: الامتاع والمؤانسة: التوحيدي:١٠٥/٣-١٠٦.
[٥٦] التهذيب في التفسير:٢٧٨/١.
[٥٧] نفسه:٣٠٩/١.
[٥٨] ينظر: الوجوه والنظائر: هارون بن موسى:١٨٤.
[٥٩] ينظر: الوجوه والنظائر: هارون:١١٢.
[٦٠] مفردات ألفاظ القرآن: ٩٩.
[٦١] معجم العين:١٤٥.
[٦٢] ينظر: الأشباه والنظائر: مقاتل بن سليمان:١٨٤-١٨٥،والوجوه والنظائر:الدامغاني:١٥٧.
[٦٣] ينظر: نزهة الأعين النواظر: ٩٠-٩١.
[٦٤] مقاييس اللغة:٢٠٠.
[٦٥] التهذيب في التفسير:١٢٤٣/٢.
[٦٦] ينظر: الفروق اللغوية:٢٥٩،والوجوه والنظائر: أبو هلال:٢٣٠.
[٦٧] التعريفات: الجرجاني:١٣٣.
[٦٨] ينظر: مقاييس اللغة:٦١٧.
[٦٩] ينظر:نفسه:٢١٣.
[٧٠] ينظر: ثلاث رسائل في الإعجاز:٢٦.
[٧١] ينظر: المعنى اللغوي: د. محمد حسن جبل:١٠.
[٧٢] ينظر: كتاب الصناعتين:٧٥.
[٧٣] ينظر: المعجم في بقية الأشياء: أبو هلال العسكري:٤١.
[٧٤] الخصائص: ابن جني:١٢٣/٢.
[٧٥] نفسه:١٥٢/٣.
[٧٦] ينظر: على سبيل المثال: الألفاظ المترادفة: الرماني:٩، وثلاث رسائل في الإعجاز: الرماني:٩٨.
[٧٧] ينظر: الفروق اللغوية:١١.
[٧٨] ينظر: التفسير البياني: عائشة عبد الرحمن: ٧/١، وجماليات المفردة القرآنية: د. أحمد ياسوف: ٧٣.
[٧٩] التأثيل: هو علم يختص بالبحث عن أصول الكلمات ، ومفهومه في الدرس المعجمي قائم على دراسة أصول الالفاظ ، من حيث انحدارها من لغة امّ ، او دخولها بالاقتراض ن ونشاتها وتطورها، والصيغ التي تفرعت عنها صوتيًا او صرفيًا أو دلاليًا. ينظر: وظيفة التأثيل في الصناعة المعجمية (بحث):أحمد عزوز: ٥، والتأثيل المعجمي وموقع العربية بين اللسانيات(بحث): رمزي منير بعلبكي:١٩.

[٨٠] ينظر: على سبيل المثال لا الحصر: الدلالة المحورية في معجم مقاييس اللغة: د. عبد الكريم محمد حسن جبل:٩، جهود المحدثين في دلالة المفردة القرآنية: د. حسين جليل علوان:١٥، واثر المعنى المحوري في الكشف عن معنى المصطلح القرآني: د. جالاك حسن:٢٠، والتأثيل المعجمي:رمزي:٢٥.
[٨١] ينظر: وهي كتاب العين للخليل الفراهيدي ، والجمهرة لابن دريد، والمنطق لابن السكيت، وكتابا أبي عبيد القاسم بن سلام غريب الحديث ومصنف الغريب، ينظر: مقاييس اغة:٤/١-.

[٨٢] ينظر: مقاييس اغة:٣/١.
[٨٣] التحقيق:١٣/١.
[٨٤] ينظر: المنطق: المظفر:٥٥/١.
[٨٥] ينظر: نفسه:٥٧/١.
[٨٦] ينظر: معجميات: د.إبراهيم اسامرائي:٦٣.
[٨٧] ينظر: على سبيل المثال لا الحصر: التهذيب في التفسير: ٢٨٤/١، ٢٩١/١، ٣٠٠/١، ١٦٩٣/٣، /٣٢٦٠، ٣٩٢٨/٦، ٣٢١٣/٥، ١٢٨٢/٢، ٣٩٤٥/٣٢٣٦،٦/٥، ٣٢٣٧/٥ وغيرها الكثير
[٨٨] التهذيب في التفسير:٣٠٥/١-٣٠٦.
[٨٩] إضاءات في الفكر والدين والاجتماع: د. حيدر حب الله، ٢٣٢/٥
[٩٠] ينظر: الدلالة المحورية:د. عبد الكريم جبل:١٤٩.
[٩١] العين:٨٧٧/٢.
[٩٢] ينظر: مقاييس اللغة:٤٧٤.
[٩٣] ينظر: الصِّحاح: ٥٤٨-٥٤٩.
[٩٤] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن:٤٣٩-٤٤٠.
[٩٥] التحقيق:٣٣٩/٥، والمعجم الاشتقاقي:٩٣٤/٩/٢-٩٣٥.
[٩٦] التبيان في تفسير القرآن:١٩٢/١-١٩٢-١٩٤-١٩٥.
[٩٧] التهذيب في التفسير:٣٠٧/١.
[٩٨] ينظر:مجمع البيان:١٠٠/١-١٠١.
[٩٩] التهذيب في التفسير:٣٢٠٣/٥.
[١٠٠] الاشتقاق أسماء الله الحسنى: الزجاجي:٦٢.
[١٠١] الخصائص:١٣٤/٢.
[١٠٢] مقاييس اللغة:٩٧٨.
[١٠٣] ينظر:مجمع البيان:٧٠/٥.
[١٠٤] مفردات ألفاظ القرآن:٧٩٢.
[١٠٥] ينظر: التحقيق:٥٢/١٢.
[١٠٦] التهذيب في التفسير:٣٩٢٨/٦.
[١٠٧] ينظر: معاني القرآن وإعرابه:١٤٢/٣.
[١٠٨] ينظر: الكشاف:٥٥٠/٢.
[١٠٩] العين:٩٦٠/٢.
[١١٠] مقاييس اللغة:٥٢٣.
[١١١] ينظر: التحقيق:١٦/١-١٧.
[١١٢] مفردات ألفاظ القرآن:٤٧٠.
[١١٣] ينظر: التبيان:٢٨٩/٦.
[١١٤] ينظر: مجمع البيان:٨٠/٦.
[١١٥] ينظر: الدلالة المحورية:د. عبد الكريم جبل:٦٣.
[١١٦] ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل: ١١٤١/٢.
[١١٧] ينظر: الكليات: الكفوي:٤٣٩.
[١١٨] التحقيق:٢٠٠/٦.
[١١٩] الكليات:٢٧٤.
[١٢٠] ينظر: الدلالة المحورية:د. عبد الكريم جبل:٤١.
[١٢١] التهذيب:٣٢٤٥/٥.

[١٢٢] العين:٣/١٦٩٠.
[١٢٣] ينظر:العين:٣/١٦٩٠.
[١٢٤] ينظر: معاني القرآن: الفراء:١/٣٠٣.
[١٢٥] المقاييس:٩٤٦.
[١٢٦] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن:٧٦٤.
[١٢٧] الصحاح:١٠٤٦.
[١٢٨] التبيان:٥/٢٦١.
[١٢٩] ينظر: مجمع البيان:٥/٨٥.
[١٣٠] ينظر: المعجم الاشتقاقي:٤/٢٠٦٢.

المصادر والمراجع

- أثر المعنى المحوري في الكشف عن معنى المصطلح القرآني: د. جالاك حسن سعيد، بحث منشور ، جامعة كرميان السليمانية، كوردستان العراق.
- أسرار البلاغة :عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تح: السيد محمد رشيد رضا، ط٢، دار المطبوعات العربية، مصر، . (د.ت)
- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ)، تح: د.عبد الله محمود شحاته، الهيأة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م.
- الاشتقاق أسماء الله الحسنى، لأبي القاسم الزجاجي دار الفكر للنشر، البصرة، العراق، ط١،١٤٣٠هـ.
- إصلاح المنطق، ابن السكيت (ت٢٤٤هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط٢، دار المعارف، مصر ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.
- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن، الدامغاني، الحسن بن محمد (ت٤٧٨هـ)، تح:عابي عبد الحميد علي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م.
- أصول التفسير عند الإمامية، دراسة في تأصيل المفهوم وبيان الأثر التفسيري، ساجد صباح العسكري، دار الولاء لصناعة النشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٤٣هـ.
- إضاءات في الفكر والدين والاجتماع، د. حيدر حب الله، مركز البحوث المعاصرة، ط١، بيروت لبنان،٢٠١٣م.
- الألفاظ الكتابية، عبد الرحمن الهمذاني (ت٣٢٧ه)، تحقيق: اميل يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان، ١٩٩١م.
- إمكانات التفسير وإشكالياته في البحث عن المعنى: محمد مصطفوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإنساني، ط١، بيروت،٢٠١٢م.
- البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي (ت١٩٩١م) ط٣٠، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ٢٠٠٣م.
- تاج اللغة وصحاح العربية المسمى (الصِّحاح)، الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، د. ت.
- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، تح: أحمد شوقي وأحمد حبيب، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، تأليف المحقق المفسر العلامة المصطفوي، مركز آثار العلامة المصطفوي، القاهرة – لندن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٣، ٢٠٠٩م.
- ترتيب كتاب العين العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ) ، تحقيق: د.مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي، تصحيح الأستاذ أحمد الطيب، انتشارات أسوة،ط٢، ١٤٢٥هـ.

- تصحيح الفصيح، ابن درستويه ، عبد الله بن جعفر (ت٣٤٧هـ)، تح: د.عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- التعريفات، الشريف، الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ)، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ط٥،(د.ت).
- تقلبات المعنى وغياب الفارق الدلالي في المعجمات العربية: د. ابتهاج سماع علي، بحث منشور في مجلة الجامعة العراقية، العدد:٥٣، ٢٠٢٢م

- التهذيب في التفسير، الإمام الحاكم أبي سعيد المحسن الجشمي (ت٤٩٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان السالمي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤٤٠هـ.
- ثلاث رسائل في الإعجاز، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: أحمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعرف بمصر.
- جماليات المفردة القرآنية: د. أحمد ياسوف، دار المكتبي، سورية دمشق، ط٢، ١٤١٩هـ.
- جمهرة اللغة، ابن دريد (ت٣٢١ هـ)،تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت،ط١، ١٩٨٧م.

- جهود المحدثين في دلالة المفردة القرآنية ضوء منهج الأصل اللغوي عند المحدثين في: د. حسين جليل علوان، تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٦م.
- الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن، د.عدنان زرزور، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، (د.ت).
- الخصائص ، ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)تح: محمد علي النجار، ط٢، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ، ١٩٦٣م.
- دراسة المعنى عند الأصوليين، د.طاهر سليمان جودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع. (د.ت)
- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١١٩٧٢م.

- الدلالة السياقية عند اللغويين، د.عواطف كنوش المصطفى، دار السياب للطباعة والنشر،لندن،ط١،٢٠٠٧م
- الدلالة المحورية في معجم مقاييس اللغة، د. عبد الكريم محمد حسن جبل ، المطبعة العلمية، دمشق،ط١ ، ٢٠٠٣م.
- صناعة المعجم الحديث: د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٢، ٢٠٠٩م
- الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية في تفسير التهذيب للحاكم الجشمي، حارث إبراهيم عبد محمد، أطروحة دكتوراه، جامعة الأنبار كلية التربية،٢٠٢٤م
- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري(ت٤٠٠هـ)، علقه عليه ووضع حواشيه، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢، ٢٠١٠م
- القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم، أ.د.خالد إسماعيل علي ،مؤسسة البديل، دار المتقين ،بيروت،ط١، ٢٠٠٩م.
- قضايا اللغة في كتب التفسير، المنهج – التأويل- الإعجاز، د. الهادي الجطلاوي، دار محمد علي الحامي، كلية الآداب، سوسة، الجمهورية التونسية، ط١، ١٩٩٨م.

- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري(٤٠٠هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكرالعربي، ط٢،(د.ت).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، تح: عبد الرزاق المهدي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

- الكُلّيات، معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية، الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريميّ الكفوي (ت١٠٩٤ه)، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط٢، ٢٠١١م.
- اللغة بين المعيارية والوصفية، د.تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٠م.
- اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة: مجموعة مؤلفين، إعداد وتقديم: مخلوف سيد أحمد منشورات الاختلاف،الجزائر،ط١،٢٠١٠م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ)، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، قم، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تح: محمد جاد المولى، ومحمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل ودار الفكر بيروت، لبنان. (د.ت)
- المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن: د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب،، القاهرة،ط١،٢٠٠٩م.
- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ)، تح:عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- معاني القرآن، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، تح:أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح شلبي، دار السرور. ١٩٥٥م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصَّل للألفاظ القرآن الكريم – مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، د. محمّد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- المعجم في بقية الأشياء: أبو هلال العسكري، دار الفضيلة، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، ط١،(د.ت).
- معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، تح:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- معجميات ، د.إبراهيم السامرائي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- المعنى القرآني بين التفسير والتأويل، دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني، د. عباس أمير، الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة نظريا وتطبيقيا د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب،القاهرة،ط٢، ٢٠٠٩م.
- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، ط٤،مطبعة كيميا، قم، إيران، ١٤٢٥م.
- المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨٣هـ)، سرور، قم المقدسة، ط١٠، د. ت.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ)، تحقيق، محمد عبد الكريم كاظم، مؤسسة الرسالة، سورية،ط٣، ١٩٨٧م.
- الوجوه والنظائر: أبو هلال العسكري(ت٤٠٠هـ) ، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٧م.
- الوجوه والنظائر: هارون بن موسى القارىء(ت١٥٠هـ) ، تحقيق: د.حاتم الضامن، وزارة الثقافة والإعلام، العراق،د.ط، ١٩٨٨م.